المملكة المغربية

المجلس العلمي الأعلى

برنامج تأهيل أئمة المساجد
في إطار خطة ميثاق العلماء

اللقاء الثاني و العشرون

السبت 17 دجنبر 2016

البطاقة 1 (22)– الإمام والثوابت

شراح الموطإ (تابع)

ـ أبو عمر بن عبد البر(ت. 463هـ).

قال أبو الوليد الباجي: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر في الحديث، وهو أحفظ أهل المغرب.

وقال القاضي عياض: "تفقه عند أبي عمر بن المكوى، وكتب بين يديه، ولزم أبا الوليد ابن الفرضي الحافظ، وعنه أخذ كثيراً من علم الرجال والحديث، وهذا الفن كان الغالب عليه. وكان قائماً بعلم القرآن، وسمع من آخرين..، ولم تكن له رحلة. سمع منه عالم عظيم فيهم من جلة أهل العلم المشاهير أبو العباس الدلائي، وأبو محمد بن أبي قحافة، وسمع منه أبو محمد ابن حزم، وأبو عبد الله الحميدي، وطاهر ابن مفوز. ومن شيوخنا أبو علي الغساني، وأبو بحر سفيان ابن العاصي، وهو آخر من حدث عنه من الجلة، وكان سنده مما يتنافس فيه.

قال أبو علي الجياني: وصبر أبو عمر على الطلب ودأب فيه ودرس وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس، وعظم شأن أبي عمر بالأندلس وعلا ذكره في الأقطار، ورحل إليه الناس وسمعوا منه، وألف تواليف مفيدة طارت في الآفاق.[1]

وأما تصانيفه التي تعكس قدرته وعلو كعبه في العلم فقد عددها القاضي عياض قائلا: "كتاب "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" وهو عشرون مجلداً، وهو كتاب لم يضع أحد مثله في طريقه، وكتاب "الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار"، وكتاب "التقصي لحديث الموطأ"، وكتاب "الاستيعاب لأسماء الصحابة"، وكتاب "جامع بيان العلم"، وكتاب "الإنباه على قبائل الرواه"، وكتاب "الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة"، رضي الله عنهم، وكتاب "البيان عن تلاوة القرآن"، وكتاب "بهجة المجالس وأنس المجالس"، وكتاب "أسماء المعروفين بالكنى" سبعة أجزاء، والكتاب "الكافي في الفقه في الاختلاف وأقوال مالك وأصاحبه" رحمهم الله عشرون كتاباً "والدرر في اختصار المغازي والسير"، وكتاب "القصد والأمم في التعريف بأنساب العرب والعجم وأول من تكلم بالعربية من الأمم". و"الشواهد في إثبات خبر الواحد". و"البستان في الإخوان". و"الأجوبة الموعبة في الأسئلة المستغربة"، وكتاب "الاكتفاء في القراءة"، وكتاب "التجويد" و"اختصار التمييز لمسلم"، وكتاب "الإنصاف فيما في بسم الله من الخلاف"، و"اختصار تاريخ أحمد بن سعيد". و"الإشراف في

---

[1] ترتيب المدارك وتقريب المسالك (8/ 128)

الفرائض"، وغير هذا من كتبه الصغار، مات بشاطبة ليلة الجمعة، سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعماية عن خمس وتسعين سنة وخمسة أيام، رحمه الله. "[2]

ولا تخفى قولة ابن حزم في كل من التمهيد لابن عبد البر والاستذكار قال عن التمهيد: "وهو كتاب: لا أعلم أحداً في الكلام على فقه الحديث مثله أصلا، فكيف بأحسن منه."[3]، وقال عن الاستذكار: "ومنها كتاب الاستذكار، وهو اختصار التمهيد المذكور"[4]؛ إلا أنه مرتب علىٰ أبواب الموطإ، لا علىٰ الأسانيد.

ومعلوم أن كل من جاء بعد ابن عبد البر في الحديث وعلومه، واستنباط دقيق فقهه وجليله، وفي الأخبار والسير، والأصول والفروع، عيال عليه وعلى كتبه وتحقيقاته وتخريجاته.

قال أبو علي الغساني: "وكان مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث، له بسطة كثيرة من علم النسب والخبر."[5]

ولئن كان ابن عبد البر قد بَزَّ أقرانه، وتفوق علىٰ من جاء بعده، بفضل ما أودعه في تصانيفه من علم محرر، ولا سيما موسوعتيه العلميتين الفريدتين المتميزتين: التمهيد والاستذكار، واللتين بهما دخلت شروح الموطإ في مرحلة أخرى من الجدية في البحث والتقصي، غير التي كانت عليها من قبل، مع الحرص علىٰ إضفاء صبغة التحقيق والتدقيق والاستدلال لفقه المذهب، وذلك باعتماد إيراد الأقوال والآراء الفقهية، معززة بأدلتها وأصولها، مع القصد إلى الترجيح والاختيار، ونصرة مذهب من المذاهب أو رأي من الآراء طبقا لما سار إليه الدليل.

وقد دعت الحاجة العلمية آنذاك إلىٰ اعتماد منهج وأسلوب البحث والمناظرة في الدرس الفقهي علىٰ غرار ما كانت تسير عليه المدرسة البغدادية، أو اتباع منهج أهل الحديث والأثر الذين يهتمون بدراسة الأسانيد وضبط المتون، قصد التعويل عليها في البناء، واعتماد ما تفضي إليه من الحقائق والنتائج في الدراية.

البطاقة 2 (22)– الفقه ونصوص الحديث

أحكام صلاة الجماعة :

---

[2] ترتيب المدارك وتقريب المسالك (8/ 129).

[3] رسالته في فضل الأندلس وذكر رجالها ص: 179.

[4] المصدر نفسه.

[5] المصدر نفسه.

قال الناظم رحمه الله :

بجمعة جماعة قد وجبت *** سنت بفرض وبركعة رست

وندبت إعادة الفرد بها *** لا مغربا كذا عشا موترها

بين في هذين البيتين حكم صلاة الجماعة : متى تكون واجبة ومتى تكون سنة ومتى تكون مندوبة وبأي شيء يحصل فضل الجماعة ؟

فذكر أنها تكون واجبة في صلاة الجمعة حيث قال: " بجمعة جماعة قد حصلت " يعني أن صلاة الجماعة واجبة في صلاة الجمعة بحيث لا تؤدى صلاة الجمعة أفذاذا، لقوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله".الجمعة/9.

وسبق بيان الجماعة الذين تصح بهم صلاة الجمعة وعددهم والاستدلال على ذلك في شروط صلاة الجمعة لكن متى تكون صلاة الجماعة سنة ؟

قال الناظم رحمه الله: "سنت بفرض" يعني أن صلاة الجماعة في الصلوات المفروضة غير الجمعة سنة مؤكدة وهو مذهب جمهور العلماء.

واستدل الجمهور على سنية صلاة الجماعة في الصلوات المفروضة غير الجمعة بأدلة منها:

-حديث ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً"[6].

-حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعا:" إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى، فَأَبْعَدُهُمْ، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ» وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: «حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الْإِمَامِ فِي جَمَاعَةٍ"[7].

-حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً"[8].

قال الحطاب : " كونها سنة عليه أكثر الشيوخ، وكثيرهم يقول : سنة مؤكدة "[9].

بأي شيء يحصل المسبوق فضل صلاة الجماعة ؟

---

[6] _ موطأ مالك ت الأعظمي (2/ 177)425-129.

[7] _ صحيح مسلم (1/ 460)277-662.

[8] _ صحيح مسلم (1/ 459)272-649.

[9] _ جامع الأقوال والدلالات : 259.

قال الناظم رحمه الله : "وبركعة رست" يعني أن فضل الجماعة يحصل بإدراك ركعة تامة بسجدتيها بحيث يدرك المصلي الإمام قبل أن يرفع رأسه من الركوع، لقوله صلى الله عليه وسلم : "من أدرك ركعة من الصلاة مع الإمام فقد أدرك الصلاة"[10].

قال الإمام مالك رحمه الله : وحد إدراك الركعة أن يمكن يديه من ركبتيه مطمئنا قبل رفع الإمام، يريد ويسجد معه السجدتين معا، فإن أدرك معه الركوع في الركعة الأخيرة وزوحم عن السجود فلم يسجد حتى سلم الإمام، فهل يعتبر فذا أو في صلاة مع الجماعة ؟ حكى ابن عرفة في ذلك قولين [11].

ما حكم إعادة الفذ الصلاة مع الجماعة ؟ ومتى يعيدها ؟

قال الناظم رحمه الله :

ونديت إعادة الفذ بها *** لا مغربا كذا عشا موترها

يعني أنه يندب ويستحب لمن صلى وحده، ثم حضر جماعة يصلون أن يصلي معهم طلبا لفضل الجماعة، لكنه استثنى من ذلك حالتين : حالة من صلى المغرب وحالة من صلى العشاء وأوتر بعدها، فهذان لا تستحب لهما الإعادة، وهو ما عبر عنه بقوله : " لا مغربا كذا عشا موترها ".

وأصل ذلك ما رواه الإمام مالك رحمه الله في الموطأ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول : "من صلى المغرب أو الصبح ثم أدركهما مع الإمام فلا يَعُد لَهُما"[12]. وذلك لأن المغرب هي وتر النهار، وأما العشاء فإنه لا يعيد من أوتر بعدها حتى لا تكون صلاته شفعا بعد وتر، وعندئذ يقع في النهي عن الجمع بين وترين في ليلة واحدة.

البطاقة 3 (22)- القرآن الكريم والتعليم

سورة الرحمان(75-77)

-قَوْلُهُ تَعَالَى:(مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الرَّفْرَفُ فُضُولُ الْفُرُشِ وَالْبُسُطِ. وَعَنْهُ أَيْضًا: الرَّفْرَفُ الْمَحَابِسُ يَتَّكِئُونَ عَلَى فُضُولِهَا، وَقَالَهُ قَتَادَةُ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَالْقُرَظِيُّ: هِيَ الْبُسُطُ. وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: هِيَ الزرابي. وَقِيلَ: الْفُرُشُ الْمُرْتَفِعَةُ. وَقِيلَ: كُلُّ ثَوْبٍ عَرِيضٍ عِنْدَ الْعَرَبِ فَهُوَ رَفْرَفٌ. وَهَذِهِ أَقْوَالٌ مُتَقَارِبَةٌ. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا: الرَّفْرَفُ رِيَاضُ الْجَنَّةِ. وَاشْتِقَاقُ الرفرف مِنْ رَفَّ يَرِفُّ إِذَا ارْتَفَعَ، وَمِنْهُ رَفْرَفَةُ الطَّائِرِ لِتَحْرِيكِهِ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ. وَفِي الْخَبَرِ فِي وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَرَفَعَ

[10] ـ موطأ مالك ت الأعظمي (2/ 14)20-8.

[11] ـ جامع الأقوال والدلالات : 260.

[12] -موطأ مالك ت الأعظمي (2/ 184)439.

الرَّفْرَفَ فَرَأَيْنَا وَجْهَهُ كَأَنَّهُ وَرَقَةٌ [تُخَشْخِش] أَيْ رَفَعَ طَرَفَ الْفُسْطَاطِ. وَقِيلَ: أَصْلُ الرَّفْرَفِ مِنْ رَفَّ النَّبْتُ يَرِفُّ إذا صار غضا نضيرًا، حَكَاهُ الثَّعْلَبِيُّ. وَقَالَ الْقُتَبِيُّ: يُقَالُ لِلشَّيْءِ إِذَا كَثُرَ مَاؤُهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْغَضَاضَةِ حَتَّى كَادَ يَهْتَزُّ: رَفَّ يَرِفُّ رَفِيفًا، حَكَاهُ الْهَرَوِيُّ. وقد قيل: إن الرفرف شيء إِذَا اسْتَوَى عَلَيْهِ صَاحِبُهُ رَفْرَفَ بِهِ وَأَهْوَى بِهِ كَالْمِرْجَاحِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَرَفْعًا وَخَفْضًا يَتَلَذَّذُ بِهِ مَعَ أَنِيسَتِهِ، قَالَهُ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ فِي (نَوَادِرِ الْأُصُولِ) .وَرُوِيَ فِي حَدِيثِ الْمِعْرَاجِ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى جَاءَهُ الرَّفْرَفُ فَتَنَاوَلَهُ مِنْ جِبْرِيلَ وَطَارَ بِهِ إِلَى مَسْنَدِ الْعَرْشِ، فَذَكَرَ أَنَّهُ قَالَ: (طَارَ بِي يَخْفِضُنِي وَيَرْفَعُنِي حَتَّى وَقَفَ بِي بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي) ثُمَّ لَمَّا حَانَ الِانْصِرَافُ تَنَاوَلَهُ فَطَارَ بِهِ خَفْضًا وَرَفْعًا يَهْوِي بِهِ حَتَّى أَدَّاهُ إِلَى جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَجِبْرِيلُ يَبْكِي وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالتَّحْمِيدِ، فَالرَّفْرَفُ خَادِمٌ مِنَ الْخَدَمِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ خَوَاصُّ الْأُمُورِ فِي مَحَلِّ الدُّنُوِّ وَالْقُرْبِ، كَمَا أَنَّ الْبُرَاقَ دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا الْأَنْبِيَاءُ مَخْصُوصَةٌ بِذَلِكَ فِي أَرْضِهِ، فَهَذَا الرَّفْرَفُ الَّذِي سَخَّرَهُ اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّتَيْنِ الدَّانِيَتَيْنِ هو متكأهما وَفُرُشُهُمَا، يُرَفْرِفُ بِالْوَلِيِّ عَلَى حَافَّاتِ تِلْكَ الْأَنْهَارِ وَشُطُوطِهَا حَيْثُ شَاءَ إِلَى خِيَامِ أَزْوَاجِهِ الْخَيْرَاتِ الْحِسَانِ.

-(وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) فَالعَبْقَرِيُّ ثِيَابٌ مَنْقُوشَةٌ تُبسَطُ، فَإِذَا قَالَ خَالِقُ النُّقُوشِ إِنَّهَا حِسَانٌ فَمَا ظَنُّكَ بِتِلْكَ الْعَبَاقِرِ!. وَ(رَفْرَفٍ) اسْمٌ وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ وَاحِدَ رَفْرَفٍ وَعَبْقَرِيٍّ رَفْرَفَةٌ وَعَبْقَرِيَّةٌ، وَالرَّفَارِفُ وَالْعَبَاقِرُ جَمْعُ الْجَمْعِ. وَيُقَالُ: عَبْقَرُ قَرْيَةٌ بِنَاحِيَةِ الْيَمَنِ تُنْسَجُ فِيهَا بُسُطٌ مَنْقُوشَةٌ. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: إِنَّ الْأَصْلَ فِيهِ أَنَّ عَبْقَرَ قَرْيَةٌ يَسْكُنُهَا الْجِنُّ يُنْسَبُ إِلَيْهَا كُلُّ فَائِقٍ جَلِيلٍ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: كُلُّ جَلِيلٍ نَافِسٍ فَاضِلٍ وَفَاخِرٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَغَيْرِهِمْ عِنْدَ الْعَرَبِ عَبْقَرِيٌّ. وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ). وَقَالَ أَبُو عمرو بْنُ الْعَلَاءِ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ) فَقَالَ: رَئِيسُ قَوْمٍ وَجَلِيلُهُمْ. ثُمَّ نَسَبُوا إِلَيْهِ كل شيء يَعْجَبُونَ مِنْ حِذْقِهِ وَجَوْدَةِ صَنْعَتِهِ وَقُوَّتِهِ فَقَالُوا: عَبْقَرِيٌّ وَهُوَ وَاحِدٌ وَجَمْعٌ. وَفِي الْحَدِيثِ: (إِنَّهُ كَانَ يَسْجُدُ عَلَى عَبْقَرِيٍّ) وَهُوَ هَذِهِ الْبُسُطُ الَّتِي فِيهَا الْأَصْبَاغُ وَالنُّقُوشُ حَتَّى قَالُوا: ظُلْمٌ عَبْقَرِيٌّ وَهَذَا عَبْقَرِيُّ قَوْمٍ لِلرَّجُلِ الْقَوِيِّ. ثُمَّ خَاطَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا تَعَارَفُوهُ فَقَالَ: (وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) وقرأه بعضهم (عَبَاقِرِيٍّ) وَهُوَ خَطَأٌ لِأَنَّ الْمَنْسُوبَ لَا يُجْمَعُ عَلَى نِسْبَتِهِ. وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ (مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفَارِفَ خُضْرٍ وَعَبَاقِرَ حِسَانٍ) ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ. وَضَمُّ الضَّادِ مِنْ (خُضْرٍ) قَلِيلٌ.

-قَوْلُهُ تَعَالَى: (تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) (تَبَارَكَ) تَفَاعَلَ مِنَ الْبَرَكَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ. (ذِي الْجَلَالِ) أَيِ الْعَظَمَةِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ (وَالْإِكْرَامِ). وَقَرَأَ عَامِرٌ (ذُو الْجَلَالِ) بِالْوَاوِ وَجَعَلَهُ وَصْفًا لِلِاسْمِ، وَذَلِكَ تَقْوِيَةٌ لِكَوْنِ الِاسْمِ هُوَ الْمُسَمَّى. الْبَاقُونَ (ذِي الْجَلَالِ) جَعَلُوا (ذِي) صِفَةً لِ (رَبِّكَ). وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ الِاسْمَ

الَّذِي افْتَتَحَ بِهِ السُّورَةَ، فَقَالَ: (ٱلرَّحۡمَٰنُ) فَافْتَتَحَ بِهَذَا الِاسْمِ، فوصف خلق الإنسان والجن، وخلق السموات وَالْأَرْضِ وَصُنْعَهُ، وَأَنَّهُ (كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ) وَوَصَفَ تَدْبِيرَهُ فِيهِمْ، ثُمَّ وَصَفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالَهَا، وَصِفَةَ النَّارِ ثُمَّ خَتَمَهَا بِصِفَةِ الْجِنَانِ. ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ السُّورَةِ: (تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ) أَيْ: هَذَا الِاسْمُ الَّذِي افْتَتَحَ بِهِ هَذِهِ السُّورَةَ، كَأَنَّهُ يُعْلِمُهُمْ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ خَرَجَ لَكُمْ مِنْ رَحْمَتِي، فَمِنْ رَحْمَتِي خَلَقْتُكُمْ وَخَلَقْتُ لَكُمُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْخَلْقَ وَالْخَلِيقَةَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَهَذَا كُلُّهُ لَكُمْ مِنَ اسْمِ الرَّحْمَنِ فَمَدَحَ اسْمَهُ ثُمَّ قَالَ: (ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ) جَلِيلٌ فِي ذَاتِهِ، كَرِيمٌ فِي أَفْعَالِهِ. والله أعلم.

البطاقة 4 (22)– الحديث والسيرة

الهجرة النبوية (الإخبار بحدوثها)

مر بنا سابقا الحديث عن تمهيد الله سبحانه عز وجل للهجرة بأمور أربعة ، تمثلت في الإخبار بحدوثها، وبدوافِعِها، وبنظائرها، وبالفتح لها.

وقد تحدثنا عن الأمر الأول المتمثل في الإخبار بحدوثها ، الذي ايدته نصوص من الكتب السماوية ، وكذا إخبار ورقة بن نوفل بحدوثه. واليوم نتحدث عن الأمر الثالث المتمثل في فتور الوحي:

* فتور الوحي: كأنّما الله تعالى يعطي رسولَه فرصةً لإجالة الأمر في نفسه، واستيعاب مُستقبله الضّخم، وإعداد النفس لتحمُّله، وهذا ما كان، فقد اشتاق الرسولُ صلّى الله عليه وسلّم للوحي، حتى قالت عائشة رضي الله عنها: " وَفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ...".[13]

وهذه الفترة لم تكن إلاّ تمكينًا لاستشراف الرسول صلّى الله عليه وسلّم هذا المستقبل بما فيه من أحداثٍ عظام. وكانتْ هذه هي المرة الثانية التي مَهّد فيها للهجرة بالإخبار عنها

وقد حاول أعداء الاسلام الحديث كثيرا عن هذا الأمر (فتور الوحي) واستغلاله للطعن في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وزرعوا شبهات كثيرة رد عليها أهل العلم في دواوينهم وشروحهم لهذا الحديث .[14]

[13] -صحيح البخاري:6982/29/9.

[14] -تراجع في هذا كتب شروح صحيح البخاري.

وقد نقل عن الإسماعيلي في هذا الباب قوله:" ثم كان من مقدمات تأسيس النبوة فترة الوحي، ليتدرج فيه ويمرن عليه، فشق عليه فتوره، إذ لم يكن خوطب عن الله بعدُ أنك رسول الله، ومبعوث إلى عباده، فأشفق أن يكون ذلك أمر بُدئ به، ثم لم يُرَد استتمامه فحزن لذلك، حتى إذا تدرج على احتمال أعباء النبوة والصبر على ثقل ما يرد عليه فتح الله له من أمره بما فتح.[15] وقال الصالحي:" الحكمة في فترة الوحي والله أعلم: ليذهب عنه ما كان يجده صلى الله عليه وسلم من الروع، وليحصل له التشوق إلى العود".[16]

ج- رُؤيا النبي صلَّى الله عليه وسلَّم : رؤيا أُرِيَها الرسولُ صلَّى الله عليه وسلَّم قبل الهجرة، ورُؤيا الأنبياء حق؛ قال النبي صلَّى الله عليه وسلَّم:" أُرِيت دارَ هجرتكم ذات نخل بين لابتين". وعلقت عائشة رضي الله عنها فقالت: "فهاجر مَن هاجر قِبَل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ورجع إلى المدينة بعضُ مَن كان هاجر إلى أرض الحبشة".[17]

والحديث يُبيِّن أثَرَ هذه الرُّؤيا في فعل الصحابة، وَثَمَّةَ أمران:

-إن هجرةَ مَن هاجر دليلٌ على نَجاح التمهيد النفسي، الذي قَدَّره الله تعالى.

-إن عدم هجرة من هاجر حين ذلك دليلٌ على شِدَّة أمر الهجرة على النفوس؛ مما يؤكد قيمةَ التمهيد لها.

للبحث والمناقشة:

-كيف ترد على من ادعى محاولة النبي صلى الله عليه وسلم الانتحار؟.

-ما هي المراحل التي مر منها نزول الوحي؟.

15-انظر فتح الباري: 452/12 كتاب التعبير حديث رقم 6982.

16-الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: 942هـ): 272/2.

17-صحيح البخاري: كتاب الكفالة باب جار ابي بكر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعقده.:98/3.